العفو والحلم في الكتاب والسنة وأثرهما في تكيف المسلم مع المجتمع

دكتور/ محمد علي حسن حسن الشوكي
مدرس الدراسات الإسلامية
كلية الآداب - جامعة بني سويف

ملخص البحث

مما لا شك فيه أن الطبيعة البشرية غاية في التعقيد ، وأغوار النفس البشرية عصية على الفهم إلا من خلال العلماء المتخصصين المتقنين لقواعد علم النفس، لأن النفوس البشرية متفاوتة ومتباينة، فلا توجد شخصيتان متطابقتان، ومع ذلك تمكن العلماء من وضع قواعد عامة قد تنطبق على غالبية الناس، ونظرا لأن هذه القواعد من صنع البشر؛ فأحيانا تصيب، وأحيانا تخطئ ، ومن هنا يتجلى الأثر المهم للاعتماد على الوحي الرباني من الكتاب والسنة؛ لأن الإنسان صنع الله تعالى، وهو العليم بما يصلح شأنه، ويجبر كسره، فاستخرت الله تعالى في البحث في خلقي العفو والحلم في نصوص الكتاب والسنة؛ لأبين الأثر العظيم الذي يحدثه هذان الخلقان في سلوكيات الفرد مع نفسه، وأسرته، ومجتمعه، وقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم ، أعظم قدوة عملية تطبيقية لكل الأخلاق، وخاصة هذين الخلقين الكريمين، مما ترتب عليه أنه، صلى الله عليه وسلم، كان أعظم مثال على التكيف مع المجتمع حوله، فقذف الله محبته في قلوب الناس، فقال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...)الآية[آل عمران١٥٩] فعاش النبي، صلى الله عليه وسلم، مسالما محبا محبوبا، وقد شهد أعداؤه له بكمال الأخلاق، وجميل السجايا.

بناءً عليه؛ جاءت خطة هذا البحث، كما يلي:

مقدمة: فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه ، والمنهج المتبع في البحث.

تمهيد: يكون فيه تحرير لبعض المصطلحات التي وردت في البحث.

المبحث الأول: مكانة الأخلاق في التشريع الإسلامي.

المبحث الثاني: خلقا العفو والحلم عند النبي، صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: أثر العفو والحلم في الاستقرار النفسي والسلام الاجتماعي.

خاتمة: بها أهم النتائج والتوصيات.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن موضوع تكيف الفرد مع مجتمعه، يُعَدُّ من الأمور المهمة جدًّا التي اهتمت بها الدراسات النفسية والاجتماعية، وكذلك الدراسات الشرعية قد اهتمت بهذا الموضوع، وإن كان مصطلح التكيف حديثَ الاستعمال، لكن معناه وفحواه وردا بأحكام الشريعة، فمن المعلوم أنه (لا مشاحة بالاصطلاح)، فقد وردت الأوامر الشرعية بالتآلف، والرحمةِ، والسماحةِ، ولينِ الجانب، والعفوِ، والصفحِ، وغيرِ ذلك من الأخلاق الحميدة، والسجايا الطيبةِ، ومن المعلوم أن الالتزام بهذه الأخلاق- وفي مقدمتها العفو والحلم- يُعَدُّ من أقوى العوامل التي تقضي على اضطرابات سوء التكيف.

بناءً على ما سبق؛ اخترتُ خلقي العفوِ والحلمِ؛ لكي أسلط عليهما الضوء؛ حتى يتبين الأثر القوي في تكيف الفرد مع نفسه، ومع مجتمعه، وبمفهوم المخالفة؛ فسيكون لهما أثر كبير في القضاء على اضطرابات سوء التكيف، ولنا في رسول اللهﷺ القدوة الحسنة، والمثل الأعلى؛ فإن القيم الروحية والأخلاقية "هي ركيزة أساسية للتكيف النفسي السليم، كما إنها تعتبر مقومًا من مقومات الاستقرار الاجتماعي في الجماعات"[١]

١- أهمية البحث:

لهذا البحث أهمية كبيرة، فإن للعفو والحلم التأثيرَ الكبير، ويمكن إجمال بعض عوامل أهمية هذا البجث:

١- العلاقة القوية بين الأخلاق وتكيف المرء مع مجتمعه.

٢- كثرة الأوامر الشرعية التي تحث على حسن التكيف مع المجتمع.

٣- حياة الرسولﷺ أنموذج فريد لتكيف الفرد مع المجتمع.

٤- حاجة المجتمع الشديدة لخلقي العفو والحلم لتحقيق التوافق والسلام المجتمعي.

٥- تفشي ظاهرة اضطرابات سوء التكيف، وضرورة التصدي لها.

---

[١] التكيف النفسي ، د. مصطفى فهمي ، ص ١٤١ .

٦- كثرة المشاكل الاجتماعية المترتبة على انعدام العفو والحلم (مثل الطلاق، والثأر، وغير ذلك).

أهداف البحث:

٢- حققت هذه الدراسة كثيرًا من الأهداف التي سعيتْ لتحقيقها، ويمكــن إجمال بعض أهداف هذا البحث فيما يلي:

١- تسليط الضوء على أثر الأخلاق في تكيف الفرد مع المجتمع.

٢- العمل على ربط التعاليم الشرعية بالدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة.

٣- إبراز أخلاق النبيﷺ أنموذجًا راقيًا في تكيف الفرد مع نفسه ومع المجتمع.

٤- العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تربط بين العفو والحلمِ، وبين ضعف الشخصية.

٥- إبراز الآثار الكبيرة للعفو والحلم في التخفيف من اضطرابات سوء التكيف.

٦- التعريف بسماحة الإسلام وإبرازُها لغير المسلمين.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفيِّ؛ حيث وصف صفتي العفو والصفح كما وردتا في أدلتهما الشرعية، واعتمد كذلك على المنهج التحليليِّ، حيث بيَّن أثر هذين الخلقين في التقليل من اضطرابات سوء التكيف، واعتمد على المنهج المقارن الذي عمل من خلاله على المقارنة بين الأدلة الشرعية، والنماذج الإسلامية، من ناحية، وبين الدراسات النفسية والاجتماعية، واستخدم كذلك أدوات المنهج التاريخي، وكلٌّ هذه المناهج أثمرت عن توصيف دقيق للموضوع، من خلال جمع الأدلة الشرعية من الكتاب والسنةِ، وتحليلِها، وإنزالِها على القضايا النفسية والاجتماعية، واعتمد الباحث على صحيح سنة النبيﷺ، فكل الأدلة من السنة صحيحة السند، وإذا استدلَّ بحيث في سنده ضعفٌ؛ فإنه ينبه على ذلك، ولا ينبه على الصحيح منها؛ لأن ذلك هو الأصل في هذه الدراسة.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في الأقسام الآتية:

أولا: مقدمة: جاء فيها أهمية الموضوع، وأهدافُه، وخطةُ البحث.

ثانيًا: تمهيد: جاء فيه شرح لمعنى التكيف، والتعريف ببعض المصطلحات الواردة في هذا البحث.

ثالثًا: ثلاثة مباحث:

١- مكانة الأخلاق في التشريع الإسلامي.

٢- خلقا العفو والحلم عند النبي، صلى الله عليه وسلم.

٣- أثر العفو والحلم في الاستقرار النفسي والسلام الاجتماعي.

رابعًا: خاتمة: بها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد

في هذا التمهيد، سنقوم بتحرير بعض المفاهيم الواردة في هذا البحث، ويمكن أن نجمل ما سنتناوله في هذا التمهيد في موضوعين:

١ - المقصود بالتكيف.

٢ - التعريف ببعض المصطلحات الواردة في هذا البحث.

أولًا: المقصود بالتكيف

التكيف – لغةً – من الفعل (تكيف)، وهو بمعنى انسجم وتوافق وتلاءم، يقال: "تكيف الهواء: تَغَيَّرت دَرَجَة حرارته؛ لتلائم الجوَّ الْخَارِجِيَّ، انخفضت فِي الصَّيف، وَارْتَفَعت فِي الشتَاء"[١]، وأما التعريف الاصطلاحي، فإنه قريب من المعنى اللغوي، فالتكيف هو "تلك العملية الديناميكية المستمرة التي يهدف بها الشخص إلى أن يغير سلوكه؛ ليحدث علاقة أكثر توافقًا بينه وبين البيئة..نستطيع أن نعرف هذه الظاهرة بأنها القدرة على تكوين العلاقات المرضية بين المرء وبيئته"[٢].

إذن، عملية التكيف يمكن اعتبارها مهارة شخصية، وإن كانت تتأثر بعوامل البيئة الخارجية، فإنها تتأثر ببعض العوامل الشخصية الذاتية، مثل الثقة بالنفس، والإرادة، وكذلك المرحلة العمرية للشخص، فإن (كوهلن) وضع ثلاثة فروض حول علاقة العمر بالتكيف، فكلما تقدم عمر الشخص؛ ازدادت خبرته؛ فيزداد التوافق، لكن "كلما زادت عوامل التوتر في البيئة، أو داخل الشخص؛ أدت إلى نقصان التوافق بصفة عامة، أو في بعض مجالاته"[٣].

ثانيًا: التعريف ببعض المصطلحات

نقوم بالتعريف ببعض المصطلحات التي ورد ذكرها في هذا البحث، وهي:

١ - العفو:

العفو - لغةً - مصدر قولهم عفا يعفو عفوا "وهو مأخوذ من مادّة (ع ف و) الّتي تدلّ على معنيين أصليّين الأوّل ترك الشّيء، والآخر طلبه"[٤]، وأما العفو –

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٨٠٧ .

(٢) التكيف النفسي ، د. مصطفى فهمي ، ص ١١ .

(٣) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ، د.آمال صادق، فؤاد خطاب ، ص ٤٥٠.

(٤) نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، ج ٧ ، ص ٢٨٨٩.

اصطلاحًا، فهو " الصفح وإسقاط اللوم والذنب، وفي الجنايات هو: إسقاط ولي المقتول القود عن القاتل"[١].

٢ - الحِلم:

الحِلم – لغةً – من الفعل حَلُم "حِلْمًا تأنى وَسكن عِنْد غضب أَو مَكْرُوه مَعَ قدرَة وَقُوَّة وصفح وعقل"[٢] ، والمعنى الاصطلاحيُّ قريب من اللغوي، حيث عُرِّف الحلم بأنه: "احتمال الأعلى الأذى من الأدنى، أو هو رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم، وهو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب، وعَبَّر عنه بعضُهم: بالطمأنينة عند سورة الغضب"[٣].

٣ - التوافق:

مصطلح التوافق – لغةً – هو "الاتفاق والتظاهر"[٤] ، وهو من المصطلحات الفلسفية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعرفه بأنه "أَن يسْلك الْمَرْء مَسْلَك الْجَمَاعَة، ويتجنب مَا عِنْده من شذوذ فِي الْخلق والسلوك"[٥]، ويعرفه علماء الاجتماع بأنه "القدرة على عقد صلات اجتماعية راضية مرضية مع الآخرين قوامها التعاون والتسامح والإيثار، فلا يشوبها العدوان، أو عدمُ الاكتراث لمشاعر الآخرين"[٦].

٤ - التلاؤم:

التلاؤم من الفعل تلاءم ، فيقال: "تلاءم الْقَوْمُ: اجْتَمعُوا وَاتَّفَقُوا، والشيئان: اجْتمعَا واتصلا، وَالْكَلَامُ: اتسق وانتظم"[٧]، وهذا المعنى قريب من معنى التكيف، لكنَّ معظم علماء النفس يجعلون التلاؤم والمؤامة في توافق الكائن الحي مع الظروف الطبيعية البيئية[٨].

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج ٣٠ ، ص ٢٠.

(٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج ١ ، ص ١٩٤.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، ص ١٤٦.

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٣٨٢.

(٥) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ١٠٤٧.

(٦) بناء المجتمع الإسلامي ، د.نبيل السمالوطي ، ص ١٦٠.

(٧) المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٨١٠.

(٨) انظر: التكيف النفسي ، ص ١١.

٥- السلام الاجتماعي:

السلام من الفعل سَلِم يسلَم من الآفات، بمعنى برئ ، والسلام هو "السلامة والبراءة من الْعُيُوبِ، والأَمانُ وَالصُّلْحُ"[١]،وبناءً على تعريف السلام، وعند وصفه بالاجتماعي، فإنه يقصد به التوازن الذي يجب أن يسود بين فئات المجتمع من خلال بث روح العدل، والرحمةِ، والمساواة، والالتزام بالحقوق والواجبات لكل أفراد المجتمع.

[١] المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٤٤٦.

المبحث الأول: مكانة الأخلاق في التشريع الإسلامي

مما لا شك فيه أن الأخلاق قد حظيت بنصيب كبير في الشريعة الإسلامية، فقد اشتملت الأحكام في هذا الدين على ثلاثة أقسام رئيسة[١]:

الأول: الأحكام العقدية.

الثاني: الأحكام العملية (العبادات والمعاملات).

الثالث: الأحكام الخلقية.

إن الملاحظ في أحكام الأخلاق في الشريعة الإسلامية؛ يجد أنها قد أخذت حظًّا وافرًا من الاهتمام، فيكفي أن النبيﷺ قد حصر دعوته في إتمام مكارم الأخلاق، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه – أن النبيﷺ قال: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[٢]، وفي رواية أخرى: "إنما بعثت لأتمم حُسنَ الأخلاق"[٣] ، وفي رواية ثالثة: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٤].

ارتباط الأخلاق بالعقيدة والشريعة

على الرغم من أن الأخلاق قد حظيت بقسم مستقل من الأحكام الشرعية؛ فإنها لم تنفك عن القسمين الآخرين، فقد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بهما، ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة لهذه العلاقة القوية بين الأخلاق وبين العقيدة والشريعة، كما يلي:

أولًا: الأخلاق والعقيدة

لقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة تؤكد على الصلة القوية بين الأخلاق والعقيدة، فقد جمع الله وصف النبيﷺ في عِظم أخلاقه؛ فقالﷻ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم٤] وإذا تأملنا نصوص العقيدة؛ نجد أنها تشتمل في جزء كبير منها على أوامر أخلاقية، ففي سورة سُميت سورة (المؤمنون) ذكر اللهﷻ أوصافهم؛ فقال ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[المؤمنون٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون٥ : ٨] بل إن اللهﷻ

---

[١] انظر: أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف ، ص٣٢ .

[٢] مسند أحمد ، ج ١٤ ، ص ٥١٣.

[٣] موطأ مالك ، ج ٥ ، ص ١٣٣٠ .

[٤] السنن الكبرى ، البيهقي ، كتاب الشهادات ، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها.

وصف عباده بصفات كان أولهَا أنهم يمشون على الأرض بسكينة، ويصفحون عن الجاهلين، قال ﷻ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[الفرقان٦٣] .

إن أحاديث النبيﷺ التي ربطت الأخلاق بالعقيدة أكثر من أن تحصى، لكن نذكر أمثلة على هذه الأحاديث، فمنها حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم؛ حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه"[١] ، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرا أو ليصمت"[٢]، وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"[٣]، ويصرح النبيﷺ بذكر شعب الإيمان، ومنها الحياء، وإماطة الأذى عن الطريق، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي قال: "الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[٤].

ثانيًا: الأخلاق والأحكام العملية

إذا كانت العلاقة بين الأخلاق والعقيدة واضحة، كما ذكرنا منذ قليل؛ فإنها أشد وضوحًا بين الأخلاق والأحكام العملية، ومن المعلوم أن أحكام الشريعة العملية تنقسم على قسمين، هما:

١-العبادات: يقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه، كالصلاة، والصومِ، والحجِّ، وغيرِ ذلك[٥].

٢-المعاملات: يقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بالناس، كالعقود، والبيع والشراء، وغيرِ ذلك[٦] .

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

[٣] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه.

[٤] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان.

[٥] انظر: أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف ، ص٣٢ .

[٦] انظر: أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف ، ص٣٢ .

١ - الأخلاق والعبادات:

إن المتأمل في الأحكام الخاصة بالعبادات؛ يجد ارتباطًا وثيق الصلة بالأخلاق، فأركان الإسلام الأربعة بعد الشهادة، فيها مقاصد أخلاقية عالية، ونضرب بعض الأمثلة؛ ليتبين لنا هذا الارتباط:

أ- ارتباط الصلاة بالأخلاق:

لقد جاء صريحا في كتاب الله ﷻ أن الصلاة لها أثر في حسن أخلاق المصلي، قال ﷻ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[العنكبوت٤٥] فالصلاة لها مقصد شرعي مهم، فإن إتقانها يجعل المسلم تاركًا لكل فحش ومنكر، بل إن الصلاة من أعظم الأسباب التي تجعل المسلم منسجمًا مع مجتمعه متكيفًا معه، باذلا وقتَه في خدمته، ففيها يقف الغني بجوار الفقير، والكبير بجانب الصغير، ويضع المسلم جبهته على الأرض، وهي أشرف ما يفتخر به الإنسان، وقد رُووي عن النبيﷺفيما يرويه عن ربه ﷻأنه قال: "إني لا أتقبل الصلاة إلا ممن تواضع بها لعظمتي ،ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين، وابنَ السبيل، والأرملةَ، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، وأجعل له في الظلمة نورا ، وفي الجهالة حلمًا، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة"[(١)]، وهذا الحديث وإن كان في سنده ضعف؛ فإن معناه صحيح، فكل المعاني الطيبة التي ورد ذكرها فيه، هي مقصد من مقاصد إقامة شعيرة الصلاة.

ب- ارتباط الصدقات بالأخلاق:

إن الصدقات من الشعائر التي لها أثر اجتماعي واضح، فإنها تمثل التكافل الاجتماعي في أبهى صوره، فهي حق واجب للفقير في مال الغني، والمقصد الأسمى لها جاء صريحا في قوله ﷻ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة١٠٣]، لقد مدح الله فئة من المؤمنين بسبب الإيثار والكرم، والبذل والتضحية، قال ﷻعن الأنصار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر٩] .

---

(١) مسند البزار ن ج ١١ ، ص ١٠٥ ، وحلية الأولياء ، أبو نعيم ، ج ٤ ، ص ١٨ .

ج- ارتباط الصوم بالأخلاق:

ورد صريحًا في كتاب الله ﷻأن الغرض من الصيام هو تحقيق التقوى؛ فقد قال – جل شأنه - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة١٨٣]، والصوم لا شك في أنه يهذب الأخلاق، ويحسن الطباع، فليس الصيام مجرد تعذيب بالجوع والعطش، لكنه تربية للنفس، وأخذها لمعالي الأخلاق، ومكارمِ السجايا، فقد قال النبيﷺفيما يرويه عن ربه ﷻ: "قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله؛ فليقل إني امرؤ صائم"[١]، فالصائم منهي عن الرفث، والصخبِ، والسبِّ، وغيرِ ذلك من الفواحش، وهي من العوامل الرئيسة في عدم تكيف الفرد مع المجتمع، بل إن التصريح جاء بفساد صيام من ساءت أخلاقه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبيﷺقال: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[٢] .

٢- الأخلاق والمعاملات:

مما لا شك فيه أن المعاملات هي أكثر الأقسام ارتباطًا بالأخلاق، لأن المعاملات هي علاقة المرء بالناس، فمكارم الأخلاق فيها أوضح من غيرها، وقد تنوعت أحكام المعاملات بحسب مقاصدها إلى عدة أقسام، مثل الأحكام الشخصية، والأحكام الجنائية، والأحكام الدولية، والأحكام المالية والاقتصادية[٣]، ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة على صلة الأخلاق بهذه الأحكام:

أ- ارتباط الأخلاق بالأحكام الشخصية:

تتعلق الأحكام الشخصية بالعلاقات الأسرية في بيوت المسلمين، كالزواج، والطلاق، ومعاملة الأزواج، وتربية الأولاد، وغيرِ ذلك مما يتعلق بأحكام الأسرة، وقد جاءت هذه الأحكام محلاة بمكارم الأخلاق ومحاسنها، فأمر الله بحسن المعاشرة، حيث قال ﷻ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء١٩] ، وأمر ﷻبعدم وقوع الضرر على كلا

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب هل يقول إني صائم إذا شُتِم ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام، باب فضل الصيام .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصيام.

(٣) انظر: أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف ، ص٣٢ .

الزوجين في حالة الخلاف بينهما؛ فقال﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾[البقرة٢] ،وقال ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾[المائدة٢٣] .

لقد تمثلت هذه الأخلاق الكريمة في شخص النبيﷺ فكان مع أزواجه نعم الزوج، حسنَ العشرة، دائم البشاشة، يتعاون معهن في مهنة بيته، فقالﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"(١)، فقد كان القدوة الحسنى، والأنموذج الأسمى في تعامله مع أهله، حيث "كان أحسن الناس عشرة لهم؛ حتى إنه كان يرسل بنات الأنصار لعائشة؛ يلعبن معها، وكانت إذا وهبت شيئا لا محذور فيه؛ تابعها عليه، وإذا شربت؛ شرب من موضع فمها، ويقبلها وهو صائم، وأراها الحبشةَ وهم يلعبون في المسجد، وهي متكئة على منكبه، وسابقها في السفر مرتين، فسبقها وسبقته، ثم قال هذه بتلك، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة، وفي الصحيح أن نساءه كن يراجعنه الحديث، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل"(٢)، ثم إنهﷺ يأمر المسلمين بالصبر على عيوب أزواجهم، وهي صورة مثلى لحسن تكيف المرء مع مجتمعه، حيث قال: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا؛ رضي منها آخر"(٣)، ومعناه: لا يبغض مؤمنٌ مؤمنةً.

ب- ارتباط الأخلاق بالمعاملات الاقتصادية والمالية:

المعاملات المالية والاقتصادية في الإسلام قائمة على حسن الأخلاق، وكريمِ السجايا، فقد حرم الله ﷻالربا، والغشَّ، والاحتكارَ، والخيانةَ، وأمر بالصدقِ، والوفاءِ، والرحمة، والأمانة، والوفاءِ بالعهد، والمحافظة على أموال اليتامى، قال ﷻ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[الإسراء٣٤ و ٣٥] ، ونهى الله ﷻعن التطفيف في الوزن؛ فقال ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[المطففين ١ : ٣] ولو حصرنا الآيات التي تحمل معاني مكارم الأخلاق في المعاملات المالية؛ لطال المقام جدًّا، وأما سنة المصطفىﷺفيصعب حصر الأحاديث الواردة في هذا الشأن، لكن نذكر منها على سبيل المثال، ما رواه أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه- أن النبيﷺ قال:

(١) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب في فضل أزواج النبيﷺ .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، ج ٣ ، ص ٤٩٧ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء .

"التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء"[١]، وفي وصية جامعة للكثير من مكارم الأخلاق، يقول النبيﷺ: "لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا"[٢] ، والنجش المذكور معناه: هو مدح السلعة، ورفع ثمنها بلا رغبة فيها[٣]، وفي حديث آخر يقول أبو هريرة –رضي الله عنه: "نهى رسول الله ﷺأن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها[٤]"[٥].

ج- ارتباط الأخلاق بالمعاملات الاجتماعية:

الإنسان اجتماعي بطبعه، وقد جاءت الأحكام الشرعية تنظم علاقات المسلم الاجتماعية مع جيرانه، وزملائه، وأصدقائه، وذوي رحمه، وغير ذلك من الأطراف التي يتعامل معها المرء في حياته الاجتماعية، فقال ﷻ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل٩٠] وفي آية جامعة جمع الله كثيرا من الحقوق الاجتماعية؛ فقال ﷻ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء٣٦] وقد أمر الله ﷻبتعاون أفراد المجتمع، فقال جل شأنه ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... ﴾[المائدة ٢] وقد قرر المصطفىﷺمبدأً شرعيًّا مهمًّا ، ووضع قواعد بالغةَ الرقي، ويظهر بها جليًّا تكيف المسلم مع مجتمعه؛ حيث إن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أي الناس أحبُّ إلى الله؟ وأي الأعمال أحبُّ إلى الله عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب البيوع ، باب ما جاء في التجار وتسمية الرسولﷺ إياهم .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها.

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، النووي ، ج ١٠ ، ص ١٥٩.

(٤) لتكأفأ ما في إنائها: أي "ولا تطلب المرأة المخطوبة طلاق الزوجة الأولى؛ لتسلبها ما كانت تتعم به من معاشرة، ونفقة، ونحوها" (منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ج٣، ص ٢٧١).

(٥) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب لا يبيع على بيع أخيه، ولا يسوم على سوم أخيه، حتى يأذن له أو يترك.

أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهرا، ومن كف غضبه؛ ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله عز وجل قلبه أمنا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له؛ أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام"[١]، ومما لا شك أن الالتزام بتلك القيم الأخلاقية الراقية يجعل الفرد منسجمًا متوافقًا مع أفراد مجتمعه، بل إن المسلم مأمور بالحرص على مصالح الناس، وصيانةِ أموالهم وأعراضِهم، فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، أن النبيﷺقال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة؛ فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا؛ ستره الله يوم القيامة"[٢].

[١] المعجم الأوسط ، الطبراني ، ج ٦ ، ص ١٣٩، وانظر: صحيح الترغيب ، الألباني ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ، وقال عنه: حسن لغيره.

[٢] صحيح البخاري ، كتاب المظالم والغصب ، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم.

المبحث الثاني: خلقا العفو والحلم عند النبيﷺ

مما لا شك فيه، أن من أراد أن يقف على أنموذج لشخصية تجسد كمال التوافق والانسجام والتكيف مع المجتمع حولها؛ فإنه لن يجد مثل رسول اللهﷺ، فقد كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا[١] ،

وكانت حياته نمطًا فريدًا من لينِ الجانب، وسماحةِ النفس، وإنكارِ الذات، والتغاضي عن سفساف الأمور، فقد وصفته أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- ، فقالت: "كان خلقه القرآن"[٢]، ووصفت سماحتَه، ولينَ جانبه؛ فقالت: "ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما؛ كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها"[٣].

لقد بلغ المصطفىﷺ الكمال البشري في العفو والحلم، فكل من تعامل معه؛ شهد له بكمال الخلق، وخاصة عفوَه وحلمَه وصبرَه على ما يصيبه، ويمكن أن نلخص هذين الخلقين عند النبيﷺ في تعامله مع بعض الفئات في المجتمع الذي كان يعيش فيه، وذلك كما يلي:

أولًا: عفو النبيﷺوحلمُه مع أسرته

كان المصطفىﷺ خير زوج، وخير أبٍ، وخير جدٍّ في بيته، وقرر هذه الحقيقة، وحثَّ أمتَه على ضرورة مراعاة حق الأهل والولد في المعاملة الكريمة، فقالﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[٤]، ويبدو عفو النبيﷺ وحلمُه جليًّا واضحًا في المواقف ذات المثيرات الكبيرة التي تستدعي رد فعل عنيفًا، لكنه يقابل هذه المواقفَ بالعفو واللينِ والرفق، وهو الرسول المؤيد بالوحي، لكنه يجسد للأمة القدوة الحسنة التي تعيش بسلام نفسيٍّ، وثباتٍ انفعاليٍّ منقطعِ النظير، وفي الالتزام بمنهج النبيﷺ أكبر عامل من عوامل القضاء على اضطرابات التكيف، ويمكن أن نختار نماذج من مواقف نبوية، تتجلى فيها مكارم الأخلاق في أعلى منازلها، وأبهى محاسنها، فمن هذه المواقف ما يلي:

---

(١) انظر: صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبيﷺ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب شجاعة النبيﷺ.

(٢) مسند الإمام أحمد ، ج ٤١ ، ص ١٤٨.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبيﷺ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ﷺللآثام واختياره من المباح.

(٤) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب في فضل أزواج النبيﷺ.

١- العفو والحلم على تصرفات أزواجه:

لقد ذكرتْ كتب الحديث والسير مواقفَ كثيرةً ظهر فيها حلم النبيﷺ وعفوُه عن بعض الأفعال من أزواجه، يجسد فيها قمة الثبات الانفعالي، فمن ذلك موقف شديد الوقع، ومع ذلك قابله المصطفىﷺبحلم وعفوٍ منقطعي النظير، حيث كان بعض أصحاب النبيﷺمدعوين على طعام في بيت رسول اللهﷺوكان ذلك في بيت عائشة –رضي الله عنها- فأرسلت أمُّ سلمة صحفةً فيها طعام إلى بيت عائشة، فأخذ عائشةَ ما يأخذ النساءَ من الغيرة ، قال أنس –رضي الله عنه-: "فضربتْ يدَ الخادم، فسقطت الصحفة؛ فانفلقت، فجمع النبي ﷺفلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: (غارت أمكم) ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسرت"[١]، ففي هذا الموقف يعلم النبيﷺ الصحابة والأمةَ بعدهم، كيف يكون العفو والحلم على الرغم من قوة المثير، لكن العفو له الثواب الجزيل، والأجر الكريم من الله ﷻ، وكم وقعت أحداث طلاق، وضربٍ، وقتلٍ؛ نتيجة عدم مقابلة التصرفات المخالفة بالحلم، والصبرِ، والعفوِ.

إن النبيﷺ أوصى في أحاديث صريحة بحسن معاملة النساء، فكان من آخر وصاياه في حجة الوداع ما رواه جابر بن عبد الله –رضي الله عنه- أنهﷺ قال: "اتقوا الله فى النساء؛ فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف"[٢]، وكانﷺ لا يعيب طعامًا قط، إن اشتهى الطعام؛ أكله، وإن لم يشتهِه؛ تركه[٣]، وقد نهى الرجال عن إيقاع الأذى بالنساء، فقالﷺ: "أما يستحيي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد، يضربها أول النهار، ثم يضاجعها آخره، أما يستحيي"[٤]، ويبدو عفو النبيﷺوحلمُه في هذا الحديث الذي ترويه عائشة –رضي الله عنها-، حيث قالت "ما ضرب رسول الله ﷺشيئا قط بيده،

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الغيرة.

[٢] سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبيﷺ.

[٣] رواه البخاري، كتاب المناقب ، باب صفة النبيﷺ ، ومسلم ، كتاب الأشربة ، باب لا يعيب الطعام.

[٤] رواه عبد الرزاق ، المصنف ، ج ٩ ، ص ٤٤٢.

ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل"[١].

٢ - مشاركته في أعمال البيت:

مع الأسف الشديد فإن كثيرًا من المسلمين يستنكفون عن مساعدة أزواجهم في أعمال البيوت، مع أن المصطفىﷺ رغم انشغاله بشئون الأمة، والرسالة؛ فإنه كان يعاون أهله في شئون البيت، فقد "سأل رجلٌ عائشة: هل كان رسول الله ﷺيعمل في بيته شيئا؟ قالت: نعم، ()"[٢]، وفي رواية أخرى قالت: "كان بشرا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته"[٣]، ومعنى كان رسول الله ﷺيخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته يخصف نعله: أي يخرز ويرقع؛ فإن "أصل الخصف: الضم والجمع، ومنه قوله ﷻ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[الأعراف: ٢٢] أي: يطبقان ورقة ورقة على بدنهما"[٤].

٣- مداعبته أزواجَه والترويحُ عنهن:

إن النبيﷺ هو سيد ولد آدم، وأكرم خلق الله عند ربه، وهذا لم يمنعه من أن يجعل وقتًا لأزواجه يلاطفهن، ويمزح معهن، فقد روت عائشة -رضي الله عنها- فقالت"خرجت مع النبي ﷺفي بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: (تقدموا؛ فتقدموا، ثم قال لي: (تعالي؛ حتى أسابقك، فسابقته؛ فسبقته، فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس:(تقدموا؛ فتقدموا، ثم قال: (تعالي؛ حتى أسابقك؛ فسابقته، فسبقني، فجعل يضحك، وهو يقول: (هذه بتلك) "[٥]، وفي يوم عيد، كان السودان يلعبون " فإما سألت النبي ﷺ، وإما قال: «تشتهين تنظرين؟» فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده،

---

[١] صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ﷺللآثام واختياره من المباح، أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

[٢] مسند الإمام أحمد ، ج ٤٣ ، ص ٢٠٩.

[٣] الأدب المفرد ، البخاري ، ص ١٩٠.

[٤] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، الملا علي بن سلطان القاري ، ج ٩ ، ص ٣٧١٧.

[٥] مسند أحمد ، ج ٤٣ ، ص ٣١٣.

وهو يقول: (دونكم، يا بني أرفدة) حتى إذا مللت، قال: (حسبك؟) قلت: نعم، قال: (فاذهبي)"[١].

٤ - الوفاء لأهل بيته وتطيب خواطرهن:

لقد بلغ المصطفىﷺذروة الخلق الكريم في الوفاء لأزواجه، وتطيبِ خواطرهن، فمن ذلك ما روته عائشة، قالت: " ما غرت على نساء النبي ﷺإلا على خديجة، وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول اللهﷺ إذا ذبح الشاة، فيقول: (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة) قالت: فأغضبتُه يوما، فقلت: خديجة، فقال: رسول الله ﷺ: (إني قد رزقت حبَّها)"[٢]، ولما ظهر من أم المؤمنين عائشة أنها تجد في نفسها، أنه ليس لها كنية؛ لأن لا ولد لها، فذات يوم، "قالت: يا رسول الله، كل صواحبي لهن كنى، قال: (فاكتني بابنك عبد الله) يعني ابن اختها "[٣]، أي: عبد الله بن الزبير، رضي الله عنه.

سبحان من جمَّل أخلاقه، وحسنها؛ حتى بلغت ذروة الرقي والمعالي ، فقد تزوج النبيﷺ صفية بنت حيي، وكانت من اليهود، فعيرتها، حفصة بذلك، وقالت لها: أنت بنت يهودي ، فبكت صفية لذلك، فلما علمﷺ، قال : "(وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟) ثم قال: (اتقي الله يا حفصة)"[٤]، ويقصد النبي ﷺ أنها ابنة نبي، هو موسى عليه السلام، وعمها نبي، هو هارون عليه السلام.

ثانيًا: عفو النبيﷺوحلمُه مع خصومه

لقد وقفنا –منذ قليل – على مكارم أخلاق النبيﷺمع أهل بيته، حيث بلغت الكمال في شرفها وسموِّها، لكن الناظر في سيرتهﷺيتعجب أكثر من حسن أخلاقه، وجميلِ سجاياه مع خصومه من المشركين والمنافقين، أو حتى من أفراد أمته من الجهلاء الأجلاف ذوي الطباع الغليظة، ويمكن أن نلخص بعض مواقفه مع خصومه؛ لأنه يصعب حصرها في هذا المقام، فمن هذه المواقف ما يلي:

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الحراب والدرق يوم العيد ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في المرأة تكنى..

(٤) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب فضل أزواج النبيﷺ.

١ - النهي عن الخيانة حتى مع من يخون:

إن الله أمر الرسولﷺ بمعاملة المعاهدين الذين يخاف منهم خيانة أن يصرح لهم بنيته في نقض عهدهم، قال ﷻ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[الأنفال٥٨]، يقول الإمام البغوي في تفسيرها: "﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾ أي: تعلمن يا محمد، ﴿ مِنْ قَوْمٍ ﴾ معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾ نقض عهد بما يظهر لكم منهم آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير، ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾ فاطرح إليهم عهدهم ﴿ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ يقول: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم؛ حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾"[١].

٢ - عفوه وحلمُه يوم العقبة ويومَ فتح مكة:

يتجلى الحلم في موقف مهيب، يوم العقبة، حيث دعا النبيﷺالناس للإسلام عند العقبة، لكن مشركي مكة آذوه ، وضربوه ضربًا شديدًا؛ فقد الوعيَ بسببه، فقد سألته عائشة –رضي الله عنها- "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: (لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، قال: (فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك؛ لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)"[٢].

أما يوم فتح مكة؛ فقد مكَّن اللهُ ﷻرسولَه من أعدائه الذين آذوه بشتى انواع الأذى، ووقفوا أمامه كالأسرى، ينتظرون مصيرا غامضًا من رجل تمكن منهم بعد أن

---

[١] معالم التنزيل ، التنزيل ، ج ٣ ، ص ٣٧٠.

[٢] صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين ، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبيﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

أصابه منهم ما أصابه، فقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[١].

٣- وصية الصديق –رضي الله عنه – للقادة العسكريين:

مما لا شك فيه، أن أبا بكر الصديق هو أفضل الأمة بعد النبيﷺ، ونحن مأمورون باتباع هدي الراشدين، فقد ثبت أنهﷺقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإنْ عبدا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي؛ فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[٢]، فوصايا أبي بكر، هي من فيض التعليمات النبوية، والمكارمِ المحمدية، حيث كتب وصية لقائده العسكري يزيد بن أبي سفيان، فكان مما جاء بها "ولا تقتلوا كبيرا هرمًا، ولا امرأةً، ولا وليدًا، ولا تخربوا عمرانا، ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع، ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه، ولا تغدر، ولا تمثل، ولا تجبن، ولا تغلل"[٣].

فأين هذه المكارم العالية الراقية مما نسمع الآن عن أخلاقيات الحروب التي تهلك الحرث والنسل، وتقتل النساء والأطفال وكبار السن؟ وقد جعلتْ هذه المكارم العالية جميعَ أفراد المجتمع –مسلمين وغيرَهم- يعيشون في سلام اجتماعي، ووئام نفسي، مما جعل مجتمعاتهم مستقرة هادئة يأمن كل فرد فيها على نفسه، ومالِه، وعرضِه.

٤- عفو النبيﷺوحلمُه مع الجفاة الجاهلين:

إن المواقف التي مرت بالنبيﷺمع بعض الغلاظ الجفاة من المسلمين أو غيرِهم، أكثر من أن تحصى، والمرء يتملكه العجب من هذا الرقي والسموِّ في صبر النبيِّﷺوحلمِه على هؤلاء الجاهلين، ولو التزم المسلمون سنة نبيهمﷺفي ذلك؛ لعاشت المجتمعات في وئام، وسلامٍ، وتكيفٍ دائمٍ، وسوف أضرب بعض الأمثلة؛ ليتضح لنا هذا التأصيل:

---

[١] انظر: السنن الكبرى ، البيهقي ، كتاب السير ، باب فتح مكة.

[٢] سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، وسنن الترمذي ، أبواب السنة ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع.

[٣] السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب السير ، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما.

أ- حلمهﷺ مع أعرابي تطاول عليه بيده:

هذا الموقف فيه الحلم في أعلى منازله، وأكرم مراميه، فيحكي أنس –رضي الله عنه-؛ فيقول: "كنت أمشي مع النبيﷺوعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي؛ فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ، قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"[١]، فإن هذا الموقف الكريم منهﷺيُعدُّ درسًا نفسيًّا وتربويًّا رائعًا؛ إذ كيف يكبت المرء انفعالاته وردةَ فعله مع هذا التجاوز مع أكرم خلق اللهﷺ، والأمر العجيب أنه من رجل جاء طالبًا الإحسانَ، وفي ذلك رسالة ودعوة نبوية لكل المسلمين بالعفو، والصفح، والتغافلِ عن الجاهلين والمتطاولين، حتى لو بالغوا في تطاولهم، فإن هذه الأخلاق أعظم علاج لاضطرابات سوء التكيف، لأنها تجعل المرء ثابت الانفعال، رابطَ الجأش، لا تتلاعب به المثيرات النفسية والاجتماعية.

ب- حلمهﷺ مع أعرابي تبول بالمسجد:

هذا الموقف يؤكد قوة الثبات الانفعالي، والحلمِ، والعفوِ عند النبيﷺ، قال أنس – رضي الله عنه-: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهْ مهْ[٢]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه، دعوه) فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺدعاه، فقال له: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذرِ؛ إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاةِ وقراءةِ القرآن) أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه[٣] عليه"[٤]، وفي رواية البخاري، قال النبيﷺ: "فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين"[٥]، فإن هذا الدين قائم

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

[٢] مه مه : "هي كلمة زجر، ويقال: به به بالباء أيضا، قال العلماء: هو اسم مبني على السكون معناه: اسكت" شرح صحيح مسلم، النووي، ج ٣ ، ص ١٩٣.

[٣] فشنه: "يروى بالشين المعجمة وبالمهملة وهو في أكثر الأصول والروايات بالمعجمة ومعناه صبه " شرح صحيح مسلم، النووي، ج ٣ ، ص ١٩٣.

[٤] صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد.

[٥] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول النبيﷺ: يسروا ولا تعسروا.

على اليسر، والسماحةِ، ولذا فقد أوصى رسول اللهﷺمعاذًا وأبا موسى لما أرسلهما لليمن قائلا: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا"[١].

ج- حلمُه وعفوهﷺعن يهودي:

زبد بن سعنة كان من أحبار اليهود وعلمائهم، وقد روى الطبرانيُّ، والحاكمُ، والبيهقيُّ قصة إسلامه، حيث ذكر زيدٌ نفسه أنه تحايل في التعامل التجاري مع رسول اللهﷺ؛ ليتبين له أخلاق النبيﷺ، فقال: "ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺحين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه، يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما"[٢] فاشترى من النبي تمرًا بأجل، وقبل استحقاق الدين بيومين أو ثلاثة، دخل على النبيﷺ، وهو جالس مع أصحابه، فيحكي زيد؛ فيقول: "أتيته، فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، فقلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر، وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع، وتصنع به ما أرى، فو الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته؛ لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: (يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر وأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما روعته) قال زيد: فذهب بي عمر رضي الله عنه، فأعطاني حقي، وزادني عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ فقال: أمرني رسول الله ﷺأن أزيدك مكان ما روعتك، قلت: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا، من أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺما فعلت وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر، لم تكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺحين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه، يسبق حلمه جهله، ولا يزيده الجهل عليه إلا حلما، فقد أخبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، وأشهدك أن شطر مالي - وإني أكثرها

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير ، باب التيسير وترك التنفير.

[٢] المعجم الكبير ، الطبراني ، ج ٥ ، ص ٢٢٢.

مالا - صدقة على أمة محمد. فقال عمر رضي الله عنه: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ. وآمن به، وصدقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر"[١].

هذه القصة –لو صح سندها لأن لبعض العلماء مقالًا في سندها- فيها أن زيدا طالب بحقه قبل موعده، ودخل على النبيﷺ ومعه أصحابه، واعتدى عليه سبًّا وتطاولا باليد، ولما ردَّ عمر على هذا التطاول، عاتبه النبيﷺ، وطلب منه أن يأمره بحسن الطلب، وأن يأمر النبيﷺبحسن السداد، ثم يأمر للمعتدي بزيادة عشرين صاعًا؛ بسبب ترويع عمر –رضي الله عنه- له، فأي خلق، وأي عفو، وأي حلم، هذا الذي كان يتصف به محمدٌﷺ؟ وهذه الأخلاق هي قمة التوافق النفسيِّ، والتكيفِ المجتمعيِّ.

ثالثًا: عفو النبيﷺوحلمُه مع أصحابه

إذا كانت هذه هي أخلاق النبيﷺمع خصومه واعدائه؛ فبيقين مع أصحابه وخدمه كانت كذلك من الحلم، والصفح، والعفو، والمحبة، ولا يمكن أن نحصي مواقفه في هذا المجال، لكن نذكر بعضًا منها، فعلى سبيل المثال، يقول خادمه أنس –رضي الله عنه-: "خدمت رسول الله ﷺعشر سنين، والله ما قال لي: أفا[٢] قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟ "[٣]، فلو تعامل المسلمون مع خدمهم بهذه الأخلاق النبوية؛ لسعدت المجتمعات، ويروي أنس –رضي الله عنه- موقفًا آخر، يداعب فيه النبيﷺأخًا لأنس؛ فيقول "إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: (يا أبا عمير، ما فعل النغير[٤])"[٥].

إن ملاطفة النبيﷺأصحابه أكثر من أن تحصى، فمنها ما رواه أنس –رضي الله عنه- "أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، احملني، قال النبي ﷺ: (إنا حاملوك

---

[١] المعجم الكبير ، الطبراني ، ج ٥ ، ص ٢٢٢، المستدرك ، الحاكم ، ج ٣ ، ص ٧٠٠ ، ودلائل النبوة ، البيهقي، ج ٦ ، ص ٢٧٩.

[٢] أفا: لغة في (أف) ، هي كلمة ضجر.

[٣] صحيح مسلم ، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا.

[٤] النغير: طائر صغير كالعصفور.

[٥] صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس.

على ولد ناقة) قال: وما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي ﷺ: (وهل تلد الإبلَ إلا النوقُ"[١]، ويمزح النبيﷺمع أعرابيٍّ اسمه زاهر، فقد روى أنس "أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا، وكان يهدي إلى رسول الله ﷺالهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺإذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: (إن زاهرا باديتنا، ونحن حاضروه)، وكان النبي ﷺيحبه، وكان رجلا دميمًا، فأتاه النبي ﷺيومًا، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟، فالتفت؛ فعرف النبيَّ ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر ﷺ، حين عرفه، وجعل النبيﷺيقول: (من يشتري العبد؟) فقال: يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسدا، فقال النبيُّ ﷺ: (لكن عند الله لست بكاسد) أو قال: (لكن عند الله أنت غال)"[٢].

إن الله ﷻأشار لمسألة محبة الصحابة لرسول اللهﷺ، والرضا المجتمعيِّ عنه، أو الانسجامِ النفسيِّ، أو التكيفِ المجتمعيِّ، فبين الله جل وعلا السبب في ذلك في آية صريحة؛ قال ﷻ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران]، فالآية صرحت بالسبب في التفاف الصحابة حول المصطفىﷺ ، ألا وهو رحمته، وبعده عن الفظاظة والغلظة، ثم أمره الله ﷻبأن يتعامل معهم بالعفوِ عنهم، والاستغفارِ لهم، وأخذ مشورتهم، وكلها عوامل تقضي على أية اضطرابات يسببها سوء التكيف، بل ستقضي على سوء التكيف نفسه.

---

[١] سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في المزاح.

[٢] مسند الإمام أحمد ،ج٢٠ ، ص ٩٢.

المبحث الثالث: أثر العفو والحلم في الاستقرار النفسي والسلام الاجتماعي

إن للعفو والحلم تأثيرًا كبيرًا في سلامة الشخصية، وانسجامِها، وتوافقِها مع كل ما يحيط بها، ولابد من هذين الخلقين؛ ليتحقق التكيف النفسيُّ والاجتماعيُّ، فإن التكيف البشري له بُعدان:

١- التكيف الشخصي.

٢- التكيف الاجتماعي[١].

هذان البعدان هما ركيزتا التكيف، كما ذهب معظم العلماء المتخصصين، لكنَّ ثَمَّ بُعدًا ثالثًا، أعتقد أنه بُعدٌ مهمٌّ في هذا المجال، ألا وهو التكيف البيئي الطبيعي، وإن كان كثيرٌ من علماء النفس يخرجونه من دائرة التكيف، ويطلقون عليه مواءمة[٢]، لكنني أرى أن إضافته لأبعاد التكيف أمرٌ مهمٌّ لسببين:

الأول: أن لدينا نصوصًا شرعيةً كثيرة في الحث الشديد على التعامل الحسن مع البيئة المحيطة من نبات، وهواءٍ، وماءٍ، وحيوانٍ، وهي نصوص تصدع بعظمة هذا الدين.

الثاني: أن التزام الناس بالأخلاق الإسلامية مع الطبيعة المادية حولهم، يُسهم كثيرًا في زيادة تكيف الإنسان، ويجعله شخصًا سويًّا، لأنه إذا كان مطلوبًا منه أن يرقى في معاملة البيئة المادية؛ فيتعاملَ معها بالحسنى؛ فمن باب أولى أن يرقى أكثر في معاملة البشر الذين جعلهم الله أكرمَ المخلوقات وأشرفَها.

بناءً على ما سبق؛ سيأتي هذا المبحث في ثلاثة أقسام رئيسة، كما يلي:

١- أثر العفو والحلم في التكيف الشخصي.

٢- أثر العفو والحلم في التكيف الاجتماعي.

٣- أثر العفو والحلم في التكيف البيئي الطبيعي.

أولا: أثر العفو والحلم في التكيف الشخصي

إن التكيف الشخصي يُراد به توافق الإنسان مع نفسه، ورضاه عن ذاته، وسعادتُه الداخلية، وتوافقُه الذاتي، وتصالحُه مع نفسه، فيكون الشخص السويُّ راضيًا عن نفسه، غيرَ ساخط، ولا قَلِقٍ منها.

---

[١] انظر: التكيف النفسي ، د. مصطفى فهمي ، ص ١٩ .

[٢] انظر: التكيف النفسي ، د. مصطفى فهمي ، ص ١١ .

مما لا شك فيه، أن اضطرابات التكيف الشخصي ترجع في مجملها إلى وجود حالة صراع انفعالي، سببه وجود تعارض بين الدوافع داخل نفسية الشخص، كالصراع بين غريزة الجنس، والمحرمات الدينية والاجتماعية، وبين خلق الأمانة والكسبِ غير المشروع[١]، ويحدث الإحباط بالمنع؛ بأن تقف جهة ما تحول بين الشخص ورغبتِه، ومن هنا ينجلي واضحًا أثر العقيدة في جعل الفرد ملتزمًا بالآداب العامة؛ طواعيةً من نفسه، بل رضًا، وحبًّا لها، لذلك وصف الله المؤمنين بأنه يرضى عنهم، وهم كذلك يرضون عنه، قال ﷻ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة١٠٠]، وإجمالا فإن التزام المرء بالأوامر الشرعية؛ يجعله راضيًا سعيدًا، قال ﷻ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد٢٨]، والنبي ﷺ يحثنا على طلب هذا الرضا النفسي؛ فيسأل أصحابَه قائلا: "من يأخذ عني هؤلاء الكلمات؛ فيعملَ بهن، أو يعلمَ من يعملُ بهن؟) فقال أبو هريرة: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي، فعد خمسًا، وقال: (اتق المحارم؛ تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك؛ تكن أغنى الناس، وأحسنْ إلى جارك؛ تكنْ مؤمنا، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك؛ تكنْ مسلما، ولا تكثرِ الضحك ؛فإن كثرة الضحك تميت القلب)"[٢]، فلو تأملنا هذا الحديث النبويَّ؛ نجد أنه يمثل قمة تكيف المسلم مع نفسه ومع الناس، فالأمر باتقاء المحارم، يكون برغبة ذاتية، يطلب فيها المسلم رضا ربه، ويراقبه في السر والعلن، ثم يأتي الرضا بالقدر؛ ليكون بلسمًا؛ يجعل العبد راضيًا بما يصيبه، غنيًا قانعًا بحاله الذي بوَّأه الله فيه، ثم يأتي العفو والإحسان للجار؛ ليكونَ سببًا في صفة الإيمان، ثم الأمر بمحبة الناس؛ فهي علامة على الإسلام الحقيقي، ثم يُختم الحديث بالنهي عن كثرة الضحك، وإن كان التبسم مطلوبًا مع الناس، وهو باب عظيم من أبواب تكيف المرء مع مجتمعه؛ فعن أبي ذر –رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة..."[٣].

العفو والحلم وأثرهما في سلامة الصدر:

من أعظم علامات التكيف النفسي أن يكون المرء سليمَ الصدر، لا يحمل غلًّا، ولا حقدًا، ولا ضغينةً، ومن ثم فإنه يعيش حياة مستقرة، ويكون راضيًا عن نفسه، حتى لو

---

(١) انظر: التكيف النفسي ، د. مصطفى فهمي ، ص ١٩ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الزهد ، باب من اتقى المحارم؛ فهو أعبد الناس ، ومسند أحمد ، ج ١٣ ، ص٤٥٩.

(٣) سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في صنائع المعروف.

كان فقيرًا، أو مريضًا، أو مبتلىً، ويتجلى هذا الرضا الداخليُّ في قول النبيﷺ: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء؛ شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء؛ صبر؛ فكان خيرا له"[1].

بل إن النبيﷺأخبر أن من يكون سليم الصدر، فإنه من أهل الجنة، حتى لو كان قليل العبادة؛ فعن "أنس بن مالك، قال: كنا يوما جلوسًا عند رسول الله ﷺفقال: (يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة) ، قال: فطلع رجل من أهل الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه في يده الشمال، فسلم، فلما كان الغد، قال النبيﷺمثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبيﷺمثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبيﷺتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي[2]، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تُؤوِيَني إليك؛ حتى تمضي الثلاث؛ فعلت، قال: نعم، قال أنس: كان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعار انقلب على فراشه، وذكر الله وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث، وكدت أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين والدي هجرة ولا غضب، ولكني سمعت رسول اللهﷺيقول ثلاث مرات: (يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة) ، فطلعت ثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك؛ لأنظر ما عملك؛ فأقتديَ بك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول اللهﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فانصرفت عنه، فلما وليت؛ دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشًّا، ولا أحسده على ما أعطاه الله إياه إليه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، هي التي لا نطيق"[3].

إن الصفاء الداخلي، والسلامَ الذاتيَّ، ونقاءَ السريرة، كلها أمور رفعت مقام هذا الرجل؛ لأنه يعفو ويصفح عن كل الناس، فلا يحقد على أحد، ولا يحسد أحدًا على ما آتاه الله من نعم، بل إنه هين، لين، متواضعٌ، وفي ذلك يقول الفقيه المالكي ابن الحاج: "إذا ثبت التواضع في القلب؛ ثبت فيه جميع الخير من الرأفة، والرقةِ، والرحمةِ،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير.

(٢) أي: تخاصمنا.

(٣) مسند الإمام أحمد ، ج ٢٠ ، ص ١٢٤.

والاستكانةِ، والقنوعِ، والرضى، والتوكلِ، وحسنِ الظنِّ، وشدةِ الحياءِ، وحسنِ الخلق، ونفي الطمع، وجهادِ النفس، وبذلِ المعروف، وسلامةِ الصدر، والتشاغلِ عن النفس، والمبادرةِ في العمل بالخير، والبطاءِ عن الشر"[١].

ثانيًا: أثر العفو والحلم في التكيف الاجتماعي

لئن كان للعفو والحلم آثار كبيرة في التكيف الشخصيِّ؛ فإن تأثيراتهما في التكيف الاجتماعي أكبرُ، وأعظمُ، وأبينُ، فإن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فهو يتعامل مع قطاعات المجتمع (الأسرة، والعمل، والجيران...إلخ)، وبطبيعة الحال، فإن التعاملات المجتمعية يحدث بها شدٌّ وجذب، وجهلٌ وحلم، ورضا وغضب، وفرحٌ وسرور...إلخ، وقد يصيب المرءَ ضررٌ، أو يقع عليه أذىً، وهذا قد يحدث يوميًّا؛ نتيجة ضغوط الحياة، وسرعةِ وتيرتها، وهنا يظهر الدور الفعال للعفو والصفح؛ حتى يكون عند الشخص حد أدنى من الثبات الانفعالي؛ لكي يتوافق ويتلاءم مع المجتمع الذي يعيش فيه.

إن الصحة النفسية في المفهوم الإسلامي لها عوامل خاصة تميزها عن الصحة النفسية بوجه عام، وإن كان يجمعهما عوامل كثيرة مشتركة بينهما، ويمكن أن نجمل بعض مؤشرات الصحة النفسية طبقا لتعاليم الشريعة الإسلامية، كما يلي:

١- الإيمان بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخر، والقدرِ.
٢- التوافق الاجتماعي مع الغير.
٣- التوافق الذاتي.
٤- القوة، والعزة، والسمو.
٥- الشعور بالرضا والسعادة.
٦- القدرة على العطاء والعمل[٢].

مراعاة أحوال الناس:

إن تعاليم الشريعة الإسلامية بها كل الحرص على بناء المجتمع، وسلامته من الأمراض المادية والمعنوية، بل إن النبيﷺ كان يراعي ظروف الناس، وأحوالَهم، وتفاوتَ عقولهم، فيقولﷺلعائشة: "يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير

---

(١) المدخل ، ابن الحاج ، ج ٣ ، ص ٧١.

(٢) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ، د. نبيل السمالوطي ، ص ١٦١ : ١٦٣.

- بكفر، لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون"[١]، ويؤكد الإمام علي –رضي الله عنه- على مسألة مراعاة الناس؛ فيقول: "حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله"[٢]، بل إنهﷺحث على تعلم اللغات؛ فعن "زيد بن ثابت: قال لي رسول الله ﷺ: (تحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب) قال: قلت: لا. قال: (فتعلمها) ؛ فتعلمتها في سبعة عشر يوما "[٣].

إن الحرص على تعلم لغات المجتمعات التي يعيش فيها الشخص، وكذلك معرفة المستويات العقلية والعلمية التي يتعامل معها، من أعظم الأسباب التي تجعل الفرد منسجمًا مع مجتمعه، متوافقًا مع نظامه، لا تعتريه اضطرابات التكيف مع هذه المجتمعات[٤].

تجلي العفو والحلم في حادث الإفك

مما لا شك فيه أن حادث الإفك كان بلاء شديدًا، واختبارًا عظيمًا، فتُتَهم زوجُ النبيﷺبالزنا، ويشيع الخبر الكاذب كالنار في الهشيم، بسبب تلقف المنافقين، وعلى رأسهم الذي تولى كبره، وهو عبد الله بن أبي، والمرء يتعجب من بلوغ العفو عند النبيﷺ وزوجِه، وأبي بكر هذا القدر العالي، وتلك المنزلة الكبيرة:

١- موقف النبيﷺ(الزوج):

يتجلى حلم النبيﷺوصفحُه، وهو يسمع اتهام الناس زوجتَه في شرفها، ويصبر ويحلم، وكان بإمكانه، وهو رسول الله أن ينتقم من الذين أشاعوا هذا الاتهام الباطل، فقد قال له سعد بن معاذ، وهو من الأوس، لما علم حزن النبيﷺ لما حدث: "أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك"[٥]، ويتجلى كذلك حلمه مع عائشة نفسها، فإن الوحي انقطع شهرًا كاملا بعد الحادث، ومع ذلك ما نهرها رسول اللهﷺ، ولكن قال لها: "أما بعد، يا عائشة، إنه

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه.

[٢] صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه.

[٣] مسند الإمام أحمد ، ج ٣٥ ، ص ٤٦٣.

[٤] انظر: التكيف الاجتماعي للطلاب الوافدين ، د. صالح بن محمد الصغير ، ص ٤٥.

[٥] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك.

بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه"[١].

٢- موقف أبي بكر (الأب):

لقد أصاب أبا بكر من الهم ما الله به عليم، فقد اتُهمت ابنتُه، وزوج خليلِه وحبيبه، فصبر واحتسب، لكن الأعجب في الأمر، أن أحد الثلاثة الذين خاضوا في هذا الإفك، هو مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب، وكان أبو بكر ينفق عليه، ويجري له صدقات يعيش منها، فقطع أبو بكر هذه العطايا، وهذا شيء جبلي عند أي إنسان، لكن يأتي الأمر من المولىﷻبالإنفاق والعفو، على الرغم من شدة الحدث، وقوة تأثيره، قالﷻ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور٢٢]، فلما سمع أبو بكر هذه الآية، وكان وقَّافًا عند كلام اللهﷻ؛ قال أبو بكر"بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا"[٢]، فأي عفو هذا، وأي توافق اجتماعي ونفسي، كان عند هذا الجيل المبارك؟.

٣- موقف عائشة (الزوجة المتهمة):

إن عائشة –رضي الله عنها- هي أكثر الأطراف ضررًا وأذىً في هذه القصة، فهي المتهمة التي سمعت بأذنها ما تكره، ومع ذلك صبرت واحتسبت، ولجأت إلى الله وحده، فقالت: "فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف، حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف١٨] [٣]

فكافأها اللهﷻبإنزال براءتها في عشر آيات تتلى إلى يوم القيامة، وكان ممن خاض في الإفك حسان بن ثابت، ومع ذلك يقول عروة بن الزبير: "كانت عائشة تكره أن يُسبَّ عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي..... لعرض محمد منكم وقاء"[٤]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك.

يعني التمست له عذرًا؛ بأنه مدح النبيﷺ، فرضي الله عنها وعن أبيها، وعن هذا الجيل الذي بلغ الكمال البشري في عفوه، وحلمِه، وصفحِه؛ فطابت حياتهم، وتعالت عن رذائل الأمور وسفسافها.

المؤمن إلف مألوف:

دلت النصوص الشرعية على أن المؤمن الذي يخالط الناس، ويعاملهم بالحسنى، ويصبر على أذاهم، هو أفضل الناس، بل هو أفضل المؤمنين، وأكملهم إيمانًا؛ فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانا أحاسنُهم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وليس منا من لا يألف ولا يؤلف"[1]، بل إن تكيف الشخص مع المجتمع، ومعاملة أفراده معاملة حسنة، من العفو، والتسامحِ، والحلمِ، والصفحِ، قد يُدخل العبدَ الجنةَ، فعن أبي مسعود –رضي الله عنه- أن رسول اللهﷺقال: "حُوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيءٌ، إلا أنه كان رجلا مُوسرا، يخالط الناس، فيقول لغلمانه: تجاوزوا، فقال الله لملائكته: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه"[2]، وقالﷺ: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى"[3].

إن الله تعالى صرح بأن الدار الآخرة لن تكون إلا للمتواضعين الذين يصلحون في الأرض، ويألفون ويؤلفون، قالﷻ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص٨٣]، وأمر نبيهﷺصراحة بالعفو، والمعروف، وعدم التعرض للجاهلين، قالﷻ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف١٩٩]، وبيَّن سبحانه أن الذي يعفو ويصفح أفضل من الذي يرد الإساءة بمثلها، فقالﷻ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت٣٤]، وقالﷻ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[فصلت٣٤]، وفي أدب رفيع، وخلق كريم؛ ينهى الله المسلمين أن تمتدَّ عيونهم؛ ليروا النعم التي عند الآخرين، حتى لو كانوا كافرين؛ وفي ذلك حثٌّ على احترام خصوصية الآخر، وعدمِ الطمع فيما عنده، قالﷻ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

---

[1] المعجم الأوسط ، الطبراني ، ج ٤ ، ص ٣٥٦.

[2] صحيح مسلم ، باب فضل إنظار المعسر.

[3] صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في البيع والشراء .

وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[طه١٣١]، وعن العفو، والصفحِ؛ يقول النبيﷺ: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو؛ إلا عزا، وما تواضع أحد لله؛ إلا رفعه الله"(١).

ثالثًا : أثر العفو والحلم في التكيف البيئي الطبيعي

تبدو عظمة هذا الدين جلية؛ حين ينظر المرء في تعاليمه؛ فيجد فيها أوامرَ راقيةً، تحث المسلم على ضرورة التعامل الحسن مع كل المخلوقات، وضرورةِ إعمار الكون، حتى في أصعب الأحوال؛ فقد أمر النبيﷺ بهذا المعنى؛ فقال: "إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"(٢)، فإن المسلم مطالب بإصلاح الأرض حتى في اللحظة التي تقوم فيها القيامة التي هي مؤذنة بفناء الدنيا كلِّها، والأمر بإصلاحِ الأرض، وعدمِ الفساد والإفساد فيها، ورد في كتاب الله، وسنة رسوله، قالﷻ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[طه١٣١]، بل إن النبيﷺجعل من يصلح أرضًا بورًا؛ فإنه يتملكها، قالﷺ: "من أحيا أرضا ميتة؛ فهي له "(٣).

رحمة الحيوانات والرفق بها:

إذا كان المسلم مطالبًا بالعفو والصفح عن الناس؛ فإنه كذلك مأمور في المقابل برحمة البهائم، وسائر المخلوقات، والتعامل معها برفق، وأن لا يحملها ما لا تطيق، وأن لا يعذبها فقد دخل رجلٌ الجنة بسبب كلب؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن رسول اللهﷺ قال: "بينما رجل يمشي بطريق، اشتد به العطش، فوجد بئرا؛ فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش؛ فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني؛ فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكها بفيه، فسقى الكلب؛ فشكر الله له فغفر له) قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: (في كل كبد رطبة أجر)"(٤)، فالرحمة بالبهائم التزام خلقيٌّ شرعيٌّ يغفل عنه كثيرون؛ فيظنون أن هذه العجماوات يجب إهمالُها، فهي كالجمادات، لا اعتبار لها، وهذا خطأ ترده هذه الآثار، فإذا كان الرجل المذكور قد نال مغفرة الله؛ بسبب كلب سقاه، ففي

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع.

(٢) مسند أحمد ، ج ٢٠ ، ص ٢٩٦.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضًا مواتًا.

(٤) الأدب المفرد ، البخاري ، ص ١٩٦.

المقابل، جاء الوعيد لمن لا يرحم هذه العجموات؛ فقد قال النبيﷺ: "دخلت امرأةٌ النارَ في هرة ربطتها، فلم تطعمْها، ولم تدعْها؛ تأكل من خشاش الأرض"[١].

لقد ثبت عن النبيﷺأنه قال: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض؛ يرحمْكم من في السماء"[٢]، وتجسد سيرة المصطفىﷺ هذه الرحمة، فعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- "أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلا، فأخذ رجل بيض حُمِّرة[٣]، فجاءت ترف على رأس رسول الله ﷺفقال: (أيكم فجع هذه ببيضتها؟) فقال رجل: يا رسول الله، أنا أخذت بيضتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اردد؛ رحمة لها)"[٤]، بل إنهﷺنهى عن حرق أي كائن حي، فقد وجدﷺ بعضَ أصحابه قد حرقوا قرية نمل؛ فغضب، وقال: "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا ربُّ النار"[٥]، فيا لها من أخلاقٍ كريمة، وتعاليمَ سمحة، حتى إن النمل قد شملته رحمة الإسلام وسماحته؛ فإن رسول الله يحكي موقفاً حدثَ مع أحد الأنبياء؛ فقد لدغته نملة، فأمر بإحراق بيت النمل كلِّه، فأوحى الله إليه: "فهلا نملة واحدة"[٦]، أي: كان عليه أن يقتل النملة التي لدغته؛ إذ لا ذنب لباقي النمل.

إن الأمثلة في هذا الباب كثيرة، وكلها تؤكد على ضرورة وجود التراحم، والإحسان، والرفقِ، واللينِ، مع الحيوان الأعجمي، فضلا عن ضرورتها مع أشرف المخلوقات، وأكرمِها عند اللهﷻ، فقد كرَّم الله الإنسان، بل جعله خليفة في الأرض؛ لكي يعمرَها، وينميَ فيها الخيرَ، والرحمةَ، والإحسانَ، والعدالةَ، والبرَّ، والصلاحَ، والإصلاحَ، وهي كل عوامل تجعل المرء؛ يعيش منسجمًا مع نفسه، متوافقًا مع مجتمعه الإنساني، ومتلائما مع بقية الكائنات التي سخرها الله لخدمته، فوجب عليه أن يرحمَها، وأن يتعامل معها برفق، وسلامٍ، ورحمة.

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء.

[٢] سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة المسلمين.

[٣] الحمرة: طائر صغير ، يشبه العصفور (انظر: المخصص ، ابن سيده ، ج ٢ ، ص ٣٤٠).

[٤] الأدب المفرد ، البخاري ، ص ١٣٩.

[٥] سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في كراهية حرق العدو بالنار.

[٦] صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب خمس يقتلن في الحرم ، وصحيح مسلم، كتاب الآداب ، باب النهي عن قتل النمل.

الخاتمة

أولًا: نتائج البحث

١- الارتباط الوثيق بين العقيدة الإسلامية ومكارم الأخلاق.
٢- الارتباط الوثيق بين الأحكام الشرعية ومكارم الأخلاق.
٣- الآثار المهمة للأخلاق في تكيف المسلم مع مجتمعه.
٤- حلم الرسولﷺ الراقي مع تصرفات أزواجه.
٥- ملاطفة النبيﷺ أهلَ بيته، واللعبُ معهم.
٦- وفاء النبيﷺ لأزواجه، وتطيبُ خواطرهنَّ.
٧- عفو النبيﷺ وحلمُه عمن آذوه.
٨- الأخلاق الكريمة للنبيﷺ وأصحابِه في التعامل مع الخصوم.
٩- حلم النبيﷺ وعفوه مع الجفاة الغلاظ من أمته.
١٠- حلم النبيﷺ وعفوه مع أصحابه.
١١- العفو والحلم يحققان التكيف الشخصي للفرد.
١٢- للعفو والحلم تأثير كبير في التكيف الاجتماعي.
١٣- حرص النبي على تعلم أصحابه لغات الأقوام، وذلك له تأثير كبير في التكيف.
١٤- المنهج النبوي في مخاطبة الناس على قدر عقولهم، يُعدُّ من أعظم أسباب التكيف.
١٥- ردُّ فعل النبيﷺ وأهلِ بيته في حادث الإفك؛ يُعَدُّ أنموذجًا راقيًا في الثبات الانفعالي الذي يثمر تكيفًا اجتماعيًّا عظيمًا.
١٦- عفو أبي بكر الصديق –رضي الله عنه- عن مسطح بن أثاثة الذي خاض في عرض ابنته؛ يُعَدُّ مثالا رائعًا على حسن التكيف مع المجتمع.
١٧- المنهج النبوي في التربية، يحث المسلم على أن يكون إلفًا مألوفًا.
١٨- المسلم مطالبٌ بأن يكون عفوًّا رحيمًا بكل المخلوقات (الإنسان، والحيوان، والنبات...إلخ).

ثانيًا: التوصيات

١- الاهتمام بنشر الأخلاق الإسلامية في المجتمعات.

٢- العمل على توضيح آثار العفو والحلم في سلامة الصدور، والتكيف المجتمعي.

٣- الدعوة إلى التسامح ونبذِ العنف، والكراهيةِ.

٤- ترجمة أخلاق النبيﷺ للغات الأخرى؛ ليعلم الناس سماحة الدين الإسلامي.

٥- ضرورة اهتمام الدراسات النفسية والاجتماعية بالجانب الأخلاقي في الشريعة الإسلامية.

٦- تدريس الأخلاق الإسلامية للنشء الصغير؛ ليتربوا على السماحة والإحسان.

٧- العمل على إزالة المفاهيم الخاطئة من عقول الكثيرين، حيث إنهم يرون أن في الأخلاق الكريمة ضعفًا، وذلًّا، وبيان الحقيقة في حسن نتائج هذه الأخلاق.

٨- ضرورة الدعوة إلى الأخلاق الكريمة بين المسلمين عامة، وبين المهاجرين المسلمين خاصة؛ لأنهم سفراء الأمة.

٩- عمل دورات تدريبية وندوات تثقيفية لمجموعات العمل في الأماكن المختلفة، تؤصل فيهم حبَّ الأخلاق، والالتزام بمكارمها.

١٠- العمل على وجود منابر إعلامية محلية وعالمية تنشر مكارم الأخلاق الإسلامية، وتحث الناس على الالتزام بها.

١١- ضرورة اهتمام الخطاب الديني بقضية الأخلاق، وإعطائها حقَّها في خطب الجمعة، والندوات والمحاضرات الدينية.

١٢- نشر التسامح والمحبة في التعامل مع غير المسلمين، وضرورة الحفاظ على السلام المجتمعي.

١٣- استغلال مواقع التواصل الاجتماعي في بث روح التسامح والرفق وحسن الخلق بين الناس.

المصادر والمراجع

١- ابن الحاج: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي ابن الحاج، المدخل ، دار التراث.

٢- ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣- ابن منظور: محمد بن علي بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤- أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٥- أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.

٦- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت ٢٤١ه)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ه: ٢٠٠١م.

٧- الألباني: محمد ناصر الألباني (ت١٤٢٠هـ)، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.

٨- آمال صادق (دكتورة) ، فؤاد خطاب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤.

٩- البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري(ت٢٥٦هـ):

أ-صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

ب-الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٠- البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد البزار (ت٢٩٢هـ)، مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل سعد، وصبري عبد الخالق، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٩م.
١١- البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٢- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٣- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى (ت٢٧٩ه)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥ه- ١٩٧٥م.
١٤- حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٥- السمالوطي: د. نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للطبع والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٦- الصغير: د. صالح محمد الصغير، التكيف الاجتماعي للطلاب الوافدين – دراسة تحليلية مطبقة على الطلاب الوافدين في جامعة الملك سعود بالرياض، مجلة جامعة أم القرى، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، شوال ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٧- الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحمير الصنعاني(ت٢١١هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.
١٨- الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ):
أ- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
ب- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢.
١٩- عبد الوهاب خلاف (ت١٣٧٥هـ)، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة، ط٨.

٢٠- القاري: علي بن سلطان بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢١- مالك بن أنس بن عامر الأصبحي (ت١٧٩ هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية الإنسانية، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٢- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

٢٣- مجموعة من العلماء، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤.

٢٤- مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥- مصطفى فهمي(دكتور)، التكيف النفسي، دار مصر للطباعة، ١٩٧٨م.

٢٦- المناوي: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي (ت١٠٣١هـ):

أ- فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦ هـ.

ب- التوقيف على مهمات التعريف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٧- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٨- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط٢، ١٤٠٤ هـ:١٤٢٧هـ.